# خصائص الصورة الفنية في القرآن الكريم "كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم" لسيد قطب أنموذجا

# The properties of the art image in the Holy Quran "The Book of Technical Photography in the Holy Quran" to Mr Qutb Model.

**سعاد قمومية***
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)
s.guemoumia@univ-chlef.dz
مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب
**هاجر حاج شريف**
جامعة أحمد زبانة غليزان (الجزائر)
hadjer.hadjcherif@univ-relizane.dz
مختبر الدراسات المتعددة التخصصات في تعليم وتعلم اللغات

تاريخ الارسال2022/12/28 تاريخ القبول 2023/01/14 تاريخ النشر2023/02/07

**ملخص:**

تسعى هذه الورقة البحثية الموسومة بـ " خصائص الصورة الفنية في القران الكريم "كتاب التصوير الفني في القران الكريم" لسيد قطب أنموذجا " إلى أن دراسة التصوير الفني في القرآن الكريم تقوم على إدراك تقنية التصوير والتمثيل والتشبيه في الآيات أو كيفية رسم الآيات لمشهد ما، سواء كان نفسيا أو طبيعيا أو سرديا، ومن ثم استشعار أثر التصوير الفني في إيصال المعنى وتعميقه.

لذا لقي القرآن اهتماما كبيرا حيث ظهرت دراسات كثيرة حوله وتنوعت بين الفقه والتشريع والعقيدة، ثم ظهرت دراسات أولية تهتم بالجانب الفني جسدها البحث سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن الذي هو محل دراستنا في هذا البحث؛ وبهذا يصاغ الإشكال التالي: ما هي أهم خصائص الصورة الفنية في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب؟.

**الكلمات المفتاحية:** التصوير الفني، القرآن الكريم، الأسلوبية، تعبير، أسرار الإعجاز.

**Abstract:**

This research paper titled “The Characteristics of the Artistic Image in the Holy Qur’an” “The Book of Artistic Imagery in the Holy Qur’an” by Sayyid Qutb as a model “seeks that the study of artistic imagery in the Holy Qur’an is based on realizing the technique of imagery, representation and analogy in the verses or how to draw the verses of a scene, whether It was

* المؤلف المرسل

psychological, natural, or narrative, and then sensing the impact of artistic photography in communicating and deepening meaning.

Therefore, the Qur'an received great attention, as many studies appeared on it and varied between jurisprudence, legislation and belief. Then preliminary studies appeared concerned with the artistic side, embodied in the research of Sayyid Qutb in his book Artistic Imagery in the Qur'an, which is the subject of our study in this research. Thus, the following problem is formulated: What are the most important characteristics of the artistic image in Sayyid Qutb's book, Artistic Imagery in the Holy Qur'an?

**Keywords:** Artisticphotography, the Noble Qur'an, stylistics, expression, the secrets of miraculousness

## 1. مقدمة:

إن التصوير الفني في القرآن الكريم خاصية أسلوبية بالغة الأهمية، يعرفه سيد قطب بأنه تعبير بالصورة المجسّة عن المعنى الذهني، و الحالة النفسية، و عن الحادث المحسوس، و المشهد المنظور، و عن النموذج الإنساني و الطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فَيمنحها الحياة..، فإذا المعنى الذهني، هيأةٌ أو حركة، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد. و إذا النموذج الإنساني شاخص حي، و إذا الطبيعة البشرية، مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمناظر و القصص فيردها حاضرة، فيها الحياة، و فيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار، فقد استوت لها كل عناصر التخييل.. حتى يخيل المستمعين نظّارة..، حيث تتوالى المناظر و تتجدد الحركات، و ينسى المستمع أنّ هذا كلام يُتلى، و مثلٌ يضرب، و يتخيل أنه منظر يعرض، و حادث يقع.. فإذا ما ذكرنا أنّ الأداة التي تصور المعنى الذهني و الحالة النفسية، و تشخص النموذج الإنساني، أو الحادث المروي، إنما هي ألفاظ جامدة، لا ألوانٌ تصور، و لا شخوص تعبر، أدركنا بعض أسرار الإعجاز في هذا وهو لون من ألوان التعبير،و هو تعريف جامع لجزئيات كثيرة يتجلى من خلالها التصوير الفني "كالتجسيم، و التشخيص، و التخييل، و اللوحة، و المشهد

### 1-ماهية الصورة الفنية

**1-1-الصورة لغة**:ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته يقال:صورة الفعل كذا وكذا؛ أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته، يقال :تصورت الشيء: أي توهمت له صورة معينة فتصور لي، والتصاوير :التماثيل[1].

**1-2-الصورة اصطلاحا** :إن الإنسان بطبيعته إذا شاهد صورة ما فإنه يتجاوب معها فيدركها إدراكا حسيا، والإدراك الحسي: "هو الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال الحواس أو عضو حاس ...وهو يعني أيضا الفهم والإدراك بواسطة الحواس، وذلك كإدراك الألوان والأحجام والأشكال بواسطة البصر"[2]، فعن الإدراك الحسي ينشأ التصور الذهني هو "استحضار صور المدركات الحسية عندما تغيب عن الحواس، لكن دون التصرف فيها بتبديل أو تغيير أو زيادة أو نقصان أو ما إلى ذلك ."

ومن هنا نشأت الحاجة إلى الصورة الفنية باعتبارها أداة لها طريقتها الخاصة في عرض المعاني مقترنة بألفاظ، ليتفاعل المتلقي مع النص وهو مرتبط ب جزئيه في وقت واحد، فلا فصل بينهما ولا يتميز أحدهما عن الآخر، فيكسب حين ذاك مناخا يشعرنا بالتئام اللغة والفكر في إطار موحد، يلفت الانتباه إلى طبيعة المعنى في عرضه وأسلوبه، منسجما مع سلسلة الألفاظ المشيرة إلى المعاني، غير منفصل عنها في حال من الأحوال، وهنا يندفع المتلقي نحو السير وراء الصورة الكاملة في العلاقات القائمة بين اللغة والفكرة، أو اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون، ويكون طريق كشف هذه العلاقات هو استنباط المعاني من خلال طريقة صياغتها في التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز، لننتقل من مجاز القول إلى الحقيقة ومن التعبير الإستعاري للكلمات إلى الأصل الإستعمالي لها، ومن التمثيل إلى حقيقة الشيء وهذه مجموعة العلاقات التي تبني عليها أصول الصورة الفنية .

فالصورة إذن وحدة لا تنفصم، ذات طرفين إطار ومادة، ولا يتقوم الجهد الفهمي ولا يتم تفسيره إلا بمواجهتهما معا، وإلا فالنتاج الفني عمل جاف لا ينبض بالحس، ولا يتسم بالحياة.

**2-طريقة التصوير الفني في القران الكريم:**

إن الطريقة التصويرية هي التي أظهرت بوضوح جل الأغراض التي عالجها القرآن والموضوعات التي تناولها، وأبرز ما فيها من دقة وشمول وصلاحية ومرونة، وهي التي جعلت لها تلك الصورة المؤثرة الواضحة، لذلك كانت هذه الطريقة شفاء للأغراض والموضوعات، ومن خلال هذه الطريقة الجميلة المنفردة، تأثر الناس بالقرآن وتفاعلت نفوسهم وقلوبهم وحواسهم مع كل سورة وكل آية، وتحقق

للقرآن ما كان يتطلع إليه، كما أنها تختصر المسافات الشاسعة في كلمات وألفاظ قلائل، إذ أن الريشة القرآنية ترسم صورا شاخصة غنية بالدلالات، والمعاني، فتعبر عنها ألفاظ قليلة تغني عن الكثير من الفقرات والعبارات، قوله تعالى: ﴿ يعْلَمُ مَا يلِجُ فِي الأَرْضِ وَ مَا يخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا ينْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ .

تضمنت هذه الآية مشهدا تصويريا حافلا بالصور، مجسدا كما هائلا من الحركات والأشياء والأحجام والهيئات المختلفة بواسطة ألفاظ قليلة، ولو أن أديبا من الأدباء أراد أن يعبر عن هذه الصور باللفظ المجرد لاحتاج إلى ألفاظ عديدة، وعبارات كثيرة، ومع ذلك لا يستطيع أن يعبر عن هذه الصورة، فبالطريقة التصويرية يتم رسم صور لمختلف النماذج الإنسانية والحالات النفسية، كما يتم بفضلها تصوير مشاهد حافلة بالحياة ممتلئة بالحركات، بألفاظ قليلة مختصرة، كما يتم من خلالها إلقاء ظلال خاصة لبعض الصور المرسومة بواسطة التعبيرات التي تقوم برسم تلك الصورة، فتتضح معالمها، وتستوفي أهدافها، وهي ظلال تنعدم في طريقة التعبير التجريدية، حيث يظهر المعنى خالي من الصور والظلال .

**3-خصائص التصوير الفني :**

يعتبر التصوير الفني هو الطريقة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم، له سمات واضحة وكذا خصائص بينة.

### 3-1-التخييل الحسي:

لقد عبر القرآن بواسطة الصورة الحسية المتخيلة عن مختلف الأغراض فيه، لذلك كان التخييل الحسي هو القاعدة الأولى والأساسية التي يقوم عليها التصوير الفني «إن الفنان المتخيل هو الذي يكتشف التصوير الفني في القرآن، وأن الخيال هو الذي تظهر فيه الصور الفنية، إن هذه الصور تعمل عملها في الخيال، وتدخل إليه عن طريق الحس والوجدان، وتثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس والتأثيرات، وعندما يكون الخيال نشيط خصب، يكون اكتشافه للصور الفنية أدق وتذوقه أتم وبيانه لها أوضح[3] . فالتخيل الحسي قاعدة هامة تقوم عليها الصورة الفنية، حيث يدع الخيال يعمل فيها وفي مختلف جزئياتها، ويتخيلها على مختلف الأشكال، كما يدع الحس يتأثر بها .

والأمثلة على ذلك متعددة بتعدد السور القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حتى يلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ وكذلك نجزي المجرمين ﴾[4] .من خلال هذه الآية يرسم القارئ في خياله ما يشاء من الصور المخيلة للطريقة التي بواسطتها ستفتح أبواب السماء وأن السماء ليس لها باب واحد، بل مجموعة أبواب، وصورة متخيلة أخرى لدخول الجمل في ثقب الإبرة ومحاولته المتكررة التي تحول دون ذلك.

### 3-2-التجسيم الفني

هو الخاصية الثانية من خصائص التصوير في القرآن، وهو ظاهرة كثيرة الورود في القرآن الكريم، وقد ساق سيد قطب نماذج كثيرة يحفل بها القرآن الكريم، ولا يقصد بالتجسيم التشبيه بالمحسوسات "إنما يعني لونا جديدا هو تجسيم المعنويات لا على وجه الشبه والتمثيل بل على وجه التصوير والتحويل[5]. فالتجسيم حسب رأي سيد قطب نوعان :

**النوع الأول**: تجسيم من قبيل تشبيه الأمر المعنوي المجرد بأمر محسوس مجسم على وجه التشبيه والتمثيل .قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يوم عَاصِفٍ لا يقدرون مِمَّا كَسَبُوا على شَيْءٍ ذلك هو الضَّلال البعيد ﴾[6].تصوير لأعمال الكفار وهي أمور معنوية في صورة حسية مجسمة تتبدى في ذلك الرماد الذي اشتدت به الريح فاندثر وتبدد، والشيء الذي يدل على أنه تجسيم من قبيل التشبيه هو أداة الشبه: مثل (الكاف).

**النوع الثاني**: تجسيم المعنويات على وجه التصيير والتحويل، وهذا النوع يصير الأمر المعنوي المجرد صورة حسية مجسمة بواسطة التخييل الحسي، وندرج في ضلال هذا النوع بعض الأمثلة القرآنية لتوضيحه .قوله تعالى: ﴿ وَ هُمْ يحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ألا سَاءَ ما يَزِرون ﴾[7] .

بواسطة التجسيم تحول أمر معنوي وهو الذنوب إلى أمر مجسم مادي يتمثل في الأحمال التي تحمل على الظهور .

### 3-3-التناسق الفني :

التناسق الفني هو الخاصية الثالثة من خصائص التصوير الفني، وقد أدرج سيد في كتابه "التصوير الفني في القرآن" فصل سماه: التناسق الفني: وهو من أغنى الفصول وأغزرها مادة، كما تعرض "سيد قطب" في كتابه "في ظلال القرآن" لألوان التناسق الفني وهي:

- ✓ التنسيق في تأليف العبارات
- ✓ الإيقاع الموسيقي الناشئ عن الألفاظ المنظومة في النسق الخاص
- ✓ الملكات البلاغية التي تضمنها الأسلوب القرآني
- ✓ التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات
- ✓ التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص

### 3-4-الحياة الشاخصة:

هي الخاصية الرابعة من خصائص التصوير الفني في القرآن، وهذه الحياة تكاد تظهر في جميع أفاق التصوير سواء التصوير الحسي للمعاني الذهنية، التصوير الحسي للحالات النفسية، النماذج الإنسانية، الحوادث والمشاهد، القصص والأمثال والجدل."تصوير حي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانيات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة"[8].

ومن النماذج الدالة على الحياة في التصوير القرآني قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حمل حمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ ما هم بِسُكَارَى وَ لَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ ﴾[9].

قيام الساعة المرعب شخص في وسط حي، ويقاس بمقاييس حية من حيث وقعها وتأثيرها في النفوس الآدمية، فالمرضعات تذهل عما ترضع، والحوامل يضعن حملهن، وترى الناس بسكارى وما هم بسكارى من شدة الهول والفزع والرعب، ولكن عذاب الله شديد.

### 3-5-الحركة المتجددة:

هي الخاصية الخامسة من خصائص التصوير الفني في القرآن، وهي أيضا بارزة في كل آفاق التصوير سواء الحالة العقلية أو الحالة النفسية، أو النماذج الإنسانية المختلفة، أو القصص والأمثال المضروبة أو الحوادث والمشاهد المعروضة

والحركة في القرآن الكريم مرة تكون مضمرة وتارة أخرى تكون ظاهرة للعيان، ومن الأمثلة على هذه الحركة المتجددة قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾[10] .

في هذه الآية تجسيد حي للحركة الموجودة في كل جزء من هذا المشهد، حيث نرى السفينة تسري بهم في البحر، وعيون السامعين تتبعهم في هذه الحركة وهم فرحين بهذه المرحلة الآمنة، لأنه هناك ريح طيبة، سرعان ما تقع المفاجأة مفاجأة مفزعة، تأتي ريح عاصفة عنيفة تحيط بالسفينة فتتحرك وتتموج وتضطرب، أنفاس الركاب ترتفع وتنخفض مع تماوج السفينة

**الخاتمة:**

من خلال دراستنا لكتاب التصوير الفني في القرآن الذي سلكه ناقدنا سيد قطب في إخراج كتابه هذا يستحسن بنا أن نعلن على النتائج التي توصلنا إليها وهي:

- ✓ هناك تعاريف عديدة ومتنوعة للصورة الفنية عند النقاد القدامى وكذا المحدثين، لكنها تتفق في مجملها على أن الصورة الفنية هي تخيل الأشياء الملموسة في الواقع وترجمتها في الأذهان.
- ✓ توجه سيد قطب إلى أن الإعجاز الفني في القرآن الوجه البلاغي الإعجاز في تعبير القرآن من حيث طرق إعداده وخصائص فنه، التي هي أظهر مظاهر الإعجاز وأسمى أوجهه، لأن الظاهرة القرآنية معجزة بكل مظهريها الأساسيين: التعبيري والموضوعي معا.
- ✓ وفي الأخير يظل موضوع التصوير الفني في القرآن موضوع مهم، طالما أنه يشغل بال أي مطلع على هذا المجال الأدبي الفني، مما يجعل له استمرارية وتواصل في البحث والتطور من قبل باحثين ونقاد في نفس التخصص.

**الهوامش:**

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج04 ،نشر الأدب الحوزة، إيران، 1984، ص 84.

[2] عبد العزيز عتيق: النقد الأدبي، ط2، بيروت، لبنان، ،1972 ،ص 65-66.

[3] صلاح عبد الفتاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الشهاب، باتنة، ص131.

[4] سورة الأعراف: الآية 40.

[5] سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص66.

[6] سورة ابراهيم: الآية 18.

[7] سورة الأنعام: الآية 31.

[8] سيد قطب :التصوير الفني في القرآن، ص 33.

[9] سورة الحج: الآية 01-02.

[10] سورة يونس: الآية 22.

**. قائمة المراجع:**

1-ابن منظور: لسان العرب، ج04 ،نشر الأدب الحوزة، إيران، 1984.
2-عبد العزيز عتيق: النقد الأدبي، بيروت، لبنان، ط02 ،1972 .
3-صلاح عبد الفتاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الشهاب، باتنة.
4-سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق، القاهرة، 2004.